رابطة العالم الإسلامي
الأمـانـة الـعـامـة
الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

ضَعف المناهج التعليمية في تقديم ثقافة متَّزنة

إعـداد
الدكتور الرَّيْح حمد النيل أحمد الليث
الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

مقدم إلى
المؤتمر الإسلامي العالمي
مكافحة الإرهاب
الذي تنظمه
رابطة العالم الإسلامي
تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين
الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود
مكة المكرمة
٣ - ٦ / جمادى الأولى / ١٤٣٦ هـ، الموافق: ٢٢ - ٢٥ / فبراير / ٢٠١٥ م

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية

صندوق البريد (٥٣٧) أو (٥٣٨) مكة المكرمة (٢١٩٥٥)

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩ – الفاكس: ٥٦٠١٣١٩ – ٥٦٠١٢٦٧

برقياً: رابطة – مكة، تلكس: ٥٤٠٠٠٩ و٥٤٠٣٩٠

www.themwl.org

البريد الإلكتروني للإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

conferences@themwl.org

واتس أب: ٠٠٩٦٦٥٠٣٣٩٦٣٢٠ :whatsApp

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمد لله القائل في محكم تنزيله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٣].

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٢-٩٣].

والصلاة والسلام على النسمة المباركة، والرحمة المهداة، المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا وحبيبنا وقدوتنا محمد بن عبد الله ﷺ، وبعد:

فإن ظاهرة الإرهاب قد تفشَّت وعظُمَ أمرُها وصعُبتِ السيطرةُ عليها، فأردتُ الحديث عن ضَعف المناهج التعليمية في تقديم ثقافة متزنة، باعتبار ذلك من الأسباب المؤدية للإرهاب، واتبعتُ منهجًا يراعي متطلبات المرحلة ويحافظ على الثوابت الإسلامية، وجعلتُه في عناوين كلٌّ منها يعبر عن جزئية من الجزئيات، وحاولت قدر الإمكان التوفيقَ بين ما ورد في المراجع التي اطلعتُ عليها في المكتبات الورقية والإنترنت، شرحًا وتحليلاً، آمِلاً أن أكون قد وُفقْتُ في عرضه بما يحقق الهدفَ منه.

وأرى ضرورة اشتمال مناهج التعليم في البلاد الإسلامية على قدر من الثقافة المتزنة التي صارت نقطة ضعف فيها، وما من ثقافة جديرة بأن توصَف بأنها ثقافة متزنة معتدلة ميسَّرة مقبولة؛ غير الثقافة الإسلامية المستمدة من الدين

الإسلامي، المنبثقة عن حضارة المسلمين وتاريخهم وقيَمهم ومُثُلهم الإسلامية المُحِبة للخير والحرية والإنسانية، ثقافة أخْذ النافع من ثقافة الآخر وترْك الضار، ثقافة تقوم على المحافظة على الهوية الإسلامية وصَقْلها وصَونها، ثقافة هدفها التعايش مع الآخر غير المسلِم وليس التقاتل معه، ثقافة تؤمِن بحق الآخرين بالعيش بسلام في بلادهم وبلاد الإسلام، ثقافة شعارها: الإسلام دين حياة، فهذه ليست دراسة مسحية، بل دراسة نظرية غير موجهة إلى المناهج التعليمية في قُطْرٍ بعينه، إنما نظرة كلية إلى المناهج التعليمية في البلاد الإسلامية التي لا تتفاوت تفاوتاً كبيراً.

المختار في تعريف الإرهاب:

هو الاعتداء المنظّم من فرد أو جماعة أو دولة على النفوس البشرية، أو الأموال العامة أو الخاصة بالترويع والإيذاء والإفساد من غير وجه حق.

ولما كان الإرهاب اعتداءً على نفوس الناس وأموالهم بغير حق وانتهاكاً لحرماتهم وأمْنهم ومصالحهم، كان لزاماً أن تتضافر الجهود لمدافعته والقضاء عليه، صيانةً لضرورات الناس وأمْنهم ومصالحهم، وحماية لهم من تبِعات الإرهاب وآلامه وشروره.

وقد أكد الشيخ بن بيه - نائب رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، الأستاذ بجامعة الملك عبد العزيز في جدة- على ضرورة وضْع تحديد دقيق لمصطلح الإرهاب يتلاءم مع البِنية العقدية للأمة، وينطلق من أرضيةِ فقهِها وتراثها الخاص حتى لا يختلط الإرهاب بالجهاد، ولا تختلط المقاومة المشروعة بمحاربة المحتل، وركَّز على ضرورة تعزيز ثقافة التسامح الإسلامية ونشْر الفكر الوسط والحوار، واحترام التنوع الحضاري والديني والثقافي

للبشرية باعتباره إثراءً وانسجاماً وليس تبايناً وصداماً، وأيضاً تحديد مفهوم الإرهاب والسلوك الإرهابي، والتمييز بين الدفاع عن الأرض والعِرض، ومعلوم أن عدم ضبط هذا المصطلح يشكِّل مُعضلة حقيقية.

مناهج التعليم:

يشكّل المنهج التعليمي الإطارَ الكليَّ للعملية التربوية، فهو أداة التربية في تحقيق أهدافها والوصول بالفرد المتعلم إلى أقصى ما يمكن من إبراز طاقاته، والكشف عن قدراته، وتنمية ما لديه من استعداداتٍ ومواهب، وإمداده بمختلف المهارات الجيدة التي تمَكِّنه من العيش السعيد من أجل نفسه ومن أجل المجتمع الذي ينتمي إليه، ويضم المنهج التعليمي كلَّ الخبرات التي يكسبها التلميذ تحت إشراف المدرسة وتوجيهها، سواء أكان ذلك داخل الفصل الدراسي أو خارجه.

ونسلط الضوءَ باختصار على المنهج التقليدي والحديث والرسمي والخفي، لما لها من علاقة مباشرة ببناء الشخصية المتزنة المتوازنة للتلميذ من خلال ما تقدمه من دروس تربوية وتعليمية وأنشطة ثقافية.

١- أما المنهج التقليدي فهو: المعرفة التي يتم التخطيطُ لها وتوجيهُها بواسطة مجموعات أو أفراد داخل أو خارج المدرسة، ومجموعة المعلومات والحقائق والمفاهيم التي تعمل المدرسة على إكسابها للتلاميذ بهدف إعدادهم للحياة وتنمية قدراتهم، عن طريق الإلمام بخبرات الآخرين والاستفادة منها.

٢- المنهج الحديث: هو مجموع الخبرات والأنشطة التربوية التي تهيؤها المدرسة للتلاميذ داخلها وخارجها؛ بقصد مساعدتهم على النمو

الشامل في كافة الجوانب: العقلية والثقافية والدينية والاجتماعية والجسمية والنفسية والفنية؛ نمواً يؤدي إلى تعديل سلوكهم ويعمل على تحقيق الأهداف التربوية المنشودة.

٣- المنهج الرسمي: هو المنهج المنظم والمخطط له من قِبل الوزارة ويدرَّس للتلاميذ بإشراف وتوجيه المدرسة.

٤- المنهج الخفي فهو المنهج الأكثر تأثيراً على سلوكيات التلاميذ وعلى بنائهم بناءً شخصياً متوازناً، يتعلّم فيه التلاميذ دروساً لا تُدرّس فعلياً في المنهج الرسمي المعلن، وفيها نوع من الخروج غير المعلَن من قِبل المعلم أو المعلمة عن النص المكتوب؛ عن طريق أفعال تمثّل فَهماً أو قناعات خاصة، أو قيماً أو توجّهات تَظهر في النشاطات والممارسات وبعض مظاهر السلوك التي يتعرض لها الطلاب داخل المدرسة، مما لا تتضمنه المقررات المدرسية التي تؤدي إلى بث الأفكار المنحرفة والآراء الفكرية الهدامة في عقول التلاميذ في سنّ مبكرة من العمر، من غير أن تشك في ذلك إدارة المدرسة أو الآباء الذين ائتمنوها على أبنائهم، وهو ما يستدعي مراقبة دقيقة لتصرفات الأستاذة ووضْعهم تحت المراقبة المستمرة بالطرق والوسائل المتاحة، حتى لا تتحول الفصول الدراسية إلى ساحات للوعظ والإرشاد ومكانٍ لإنتاج وتصدير الأفكار المتشدّدة التي لم يجنِ المسلمون منها سوى الإساءة للإسلام.

وشخصية المعلم تمثل محور أساس في قاعات الدراسة؛ لإسهامها المباشر في تشكيل شخصيات التلاميذ، وسمات المعلم تنعكس في أسلوب تعامله مع تلاميذه وطريقة تهذيبه لهم، وهذا بدوره يؤثر في اتجاهات التلاميذ نحو التعلم، لذا صار من الضروري انتقاءُ الأساتذة الذين يقومون بالتدريس بكل دقة وحذر،

من المتصفين بالفطنة والذكاء والقدرة على إيصال المعلومة الصحيحة للطالب، بالإضافة إلى المقدرة الشخصية التي تمكّنهم من استيعاب المتغيرات الحضارية التي يعيشونها وعكْسها على المناهج الدراسية بشكلٍ مشوِّق، وتشجيع الطلاب وتحفيزهم على المناقشة والإبداع والتفكير بصورةٍ علمية من خلال استشعار الواقع والتأمل فيه، وطرح الأفكار ومناقشتها بشكلٍ مجرّد من الأوامر والنواهي التي تأخذ قوالب جاهزة[١].

علاقة المناهج التعليمية بالنشاط المدرسي:

إذا نظرنا إلى هذه العلاقة في إطار المنهج التقليدي الذي لم يزل البعض يؤمِن به؛ نجد أنه لا يعمل على إكساب التلاميذ المعلومات وإتقانها، ويهمل الأنشطةَ بكافة أنواعها: ثقافية أو اجتماعية أو رياضية، فلم تَعد المدرسة إلا مجالاً للترفيه عن التلاميذ خُصص له وقتٌ ضيِّق لا يَفي بدوره الفعال في العملية التربوية، ويَكْمُن ضَعفُ المناهج في عدم تقديم ثقافة متَّزنةٍ توازن بين المنهج واكتساب المعلومات التي توسع من ذهنية التلميذ ومَداركه، وتعينه على البحث عن المعارف والتعرف إلى غيره وفهْمهم فهماً صحيحا يوفر عليه عناء البحث عنهم في المستقبل، وهذا قد يُحدث فراغاً يَضطر التلميذ إلى مَلئه بعيداً عن المدرسة والمنزل؛ بأفكار لا يعرف خطورتها ولا يدري كُنْهَها، ونتيجةً لهذا أصبحت المدرسة في نظر الكثير من التلاميذ؛ مكاناً غير مرغوب فيه، فيتحيَّنون الفرص للتغيب عنها والهروب منها، وبدلاً عن هذا كان ينبغي أن تسود الحياةَ المدرسية روح الودِّ في علاقات التلاميذ بعضهم ببعض وعلاقاتهم بالمدرسين وإدارة المدرسة، وأوجُه النشاط التي يقومون بها في المدرسة وخارجها.

---

(١) دور المدرسة في مقاومة الإرهاب والعنف والتطرف. د. عبد الله بن عبد العزيز اليوسف.

في المقابل نجِدُ المنهج المدرسي الحديث يشجع التلاميذ على التعاون لا التنافس الأناني، ويدرّبهم على النقد البَنَّاء وتحمُّل المسؤولية والثقة بالنفس، وينمي فيهم المَيل للبحث والاطلاع ويدرّبهم على الأساليب السليمة، ويهيئ الفرصة لتنمية روح الابتكار وتنمية أساليب التفكير العلمي السديد.

المدرسة والمنهج والمجتمع:

لما كان المنهجُ وسيلةَ المدرسة لإحداث التغير المرغوب فيه في سلوك التلاميذ لتحقيق غايات المجتمع، فمن الواجب أن يعكس هذا المنهج فلسفة ذلك المجتمع وتراثه الثقافي، غير أن إهمال المدرسة لدراسة المجتمع الذي تنتمي إليه والبيئة التي تتواجد بها في إطار المنهج التقليدي، أفْقَدَها وظيفتَها الاجتماعية، ففقد التلاميذ إحساسَهم بأهمية ما يَدرسونه عن بيئتهم، وهنا يبدو مكمَن الخطر، حيث ينفصل التلميذ عن بيئته ويفقد الانتماء للبيئة الاجتماعية التي نشأ فيها، مما يدعوه للبحث عن بيئة أخرى بديلة يكون فيها خطر كبير عليه وعلى مستقبله.

رغم هذا لا ينبغي تحميل المدرسة المسؤولية كاملةً عن عدم إعطائها الجانبَ الثقافي الاهتمامَ اللازمَ، فنتّهمها بأنها قصّرت في تسوير التلاميذ وتحصينهم ضد مهددات المستقبل اللا منظور في ذلك الوقت، إذ أنها ليست وحدها المسؤولة عن ذلك، فهناك ركنان أساسان يقومان بعملية التثقيف هذه هما المنهج والمعلّم، فالعملية ثلاثية تستوجب تقييمَها في هذا الإطار الثلاثي، فالإشراف الإنساني الجاد على التلاميذ من جانب المدرسة، وتوجيههم دائماً للأفضل والأنفع سلوكياً وفكرياً واجتماعياً، والاهتمام بمصالحهم ورغباتهم وحاجاتهم، والاستجابة لها من خلال بيئة مدرسية بنَّاءة، وتدريسهم مناهج ذات صلة وثيقة بالواقع الاجتماعي والثقافي الذي يعيشه التلاميذ وأُسَرُهم، وتوفير

معلمين تربويين وإداريين أَكْفاء إنسانيًا ومهنيًا؛ كل ذلك يُسهم في تجنيب التلاميذ الوقوعَ في براثن أصحاب الأفكار المنحرفة والنفوس المريضة، التي تملك مَعاولَ الهدْم بعد أن حُرِمت من أدوات البناء لأسبابٍ قد لا تكون المناهج التعليمية أو عدم قدرتها على تقديم ثقافة متَّزنة؛ مسؤولةً عما وصلت إليه مثل هذه الفئة التي تلقّفتها عوامل وظروف أخرى أقوى من المدرسة نتيجة تغير المؤثرات، إذ العلاقة بين المدرسة والتلميذ ليست تواصلية، إنما علاقة مرحلية تتوقف هنا لتبدأ هناك، وليست مستمرة كعلاقة التلميذ بأسرته أو تواصلية كعلاقته مع مجتمعه، ولا ننسى دَور البيت والأسرة في تنشئة التلميذ التنشئة التي تجعله قادراً على مواجهة ما يطرأ من تغييرات وتحديات في حياته المستقبلية، وهنا تبرز التربية الدينية المبنية على القرآن والسنة، ويظهر دورُها في سلامة البناء الشخصي وجودته ومتانته وقوته.

ليت الأمر اقتصر على جانب المناشط ولم يمتد إلى إهمال الفروق الفردية بين التلاميذ وميولهم وحاجاتهم وقدراتهم المختلفة، لأن معيار الأهمية هنا يتعلق بالبناء الثقافي للتلميذ، والذي أدى إهمالُه إلى عجز المناهج والمدرسة في تقديم ثقافة متزنة من خلال نقل التراث الثقافي للتلاميذ، ذلك أن عملية النقل لا تنفصل عن معرفة المنقول إليه وما يحيط به، فهي عملية نقل من وعاء واسع عريض يمتلئ بشتى الثقافات، إلى وعاء ضيق صغير قابل للاتساع بمرور الوقت، وهنا تكمن خطورة النقل الذي ينبغي أن يقوم به متخصصون مأمونون على ما ينقلون وعلى ما ينقلون إليه، كي لا يتعدى المنقول سعة المنقول إليه فيزيد فينفجر، أو يقل عن حاجته فيكون في حاجة إلى الأخذ عن ناقل آخر لا تُعرف هويتُه حتى يصل إلى ما يكفي حاجتَه، فلا بد أن يكون الناقل معروفًا مأمونًا موثوقًا به.

رؤية الفلسفة التربوية للإنسان في المناهج الإسلامية:

فيما يتعلق بهذه النظرة؛ نجد أن الفلسفة التربوية الإسلامية تقوم على أساس أن الإنسان كلٌّ متكامل، جسم وروح وعقل، في نظام متكامل متناغم، لا يطغى جانب على جانب، فالإنسان ليس مجموعَ هذه الجوانب، ولكنه نتاج التفاعل بين هذه الجوانب الحسية والروحية والفكرية، هذه النظرة الشمولية للإنسان ينفرد بها المنهج الإسلامي في التربية عن غيره من المناهج البشرية والتي تقوم على أساس النظرة الثنائية للإنسان باعتباره عقل وجسم.

والإسلام يتعامل مع الإنسان كله لا مجموع أجزائه، ويأخذ بفطرته التي خَلقه الله عليها، ولا يَغفل أو يتغافل عن شيء من هذه الفطرة، ولا يُجبرها على تقبُّل شيءٍ ليس في تكوينها الأصيل، وعليه فإنه يجعل وظيفة التربية الإسلامية: الاهتمام بالحياة المادية والمعنوية للمتعلم بهدف إعداد «الإنسان الصالح» بالمفهوم الإنساني الشامل، لا من حيث هو «مواطن صالح» يعيش في هذه البقعة من الأرض أو تلك.

والتربية الإسلامية هي التي يجب أن تقوم عليها مناهج التعليم في العالمين العربي والإسلامي، وعلى واضعي المناهج أن يراعوا ذلك ويخافوا الله فيما يقومون بوضعه، وعلى القائمين على أمر التعليم مراعاة مردود الموضوع والأمر بمراجعته إن دلَّ تطبيقُه على أنه لم يحقق الأهدافَ دُونما حرجٍ أو خوف، أو نتيجةً لضغوطِ جهةٍ خارجيةٍ لها مصلحة خاصة بها، فنحن لا نعيش بمعزل عن الآخرين ولا نستطيع الاستغناءَ عنهم وإن اختلف الدين والعقيدة، فإن بدا أن في مناهجنا ما يسبب ضرراً لهم؛ فلْنراجعْه ونصححه بإرادتنا وقوانا العقلية، لأن ديننا يأمرنا بذلك وليس الآخرون يأمرون.

مفهوم الثقافة وعلاقته بالمنهج:

لقد أدى التقدم المذهل في شتى المجالات والمعارف الإنسانية؛ إلى زيادةٍ كميةٍ ونوعيةٍ في التراث الثقافي الإنساني لم يسبق لها مثيل في التاريخ المدون، هذا التضخم الهائل في التراث الإنساني وضَع المجتمعات المعاصرة أمام تحديات كبرى في مجال إعداد الناشئة للتكيف مع حياة دائمة التغير، وبيئة لم يألفوا جميع عناصرها ومشكلاتها بعد، ومن هنا يبرُز العبء الكبير والتحدي الهائل أمام المدرسة كمؤسسة اجتماعية يقع على عاتقها واجبُ تزويد التلاميذ بالقسط الملائم من ثقافة المجتمع، وذلك بهدف إعدادهم للحياة بصورة فاعلة وصحيحة.

والثقافة هي ذلك الكل المترابط من المعتقدات والأفكار والتقاليد وأساليب التفكير، والتي تحكُم في مجموعها سلوك الفرد الإنساني في مجتمع معين، نتيجةَ تَشرُّبه لهذه العناصر بالوعي واللاوعي أثناء عملية التنشئة الاجتماعية، وهي التراث الإنساني الموروث الذي يتلقاه الخلف عن السلف، ثم يضيف إليه وينمّيه حتى تتواصل رسالة الحضارة جِيلاً بعد جيل، وهو يتكون من عناصرَ ماديةٍ تشمل الأشياء التي تسهّل المعيشة للإنسان كالمساكن والمرافق، ووسائل المواصلات والمصانع والمخترعات، وعناصرَ معنويةٍ كاللغة، والدين، والعادات، والتقاليد، وأساليب التفكير، والنظريات العلمية، وغيرِها من المجردات والقِيم التي تستقر في عقول الناس ووجدانهم.

وعلى ذلك فإن مفهوم الثقافة يشمل على كل ما ترِثُه الأجيال اللاحقة عن الأجيال السابقة من علوم وفنون وآداب ونُظم اجتماعية وطرائق المعيشة، ثم تتمثل كلَّ هذا الميراث وتضيف إليه من خبراتها، وتُطوّره ليلائم احتياجاتها، وتستخدمه لتحقيق أهدافها.

وقد نتج عن هذا التصور لمفهوم الثقافة؛ تطوّرٌ في مفهوم المنهج وأهدافه، فلم يَعد هدف المنهج مجردَ نقل التراث الثقافي أو تزويد التلاميذ بأكبر قدْر منه، ولكن هدفه مساعدة التلاميذ على اكتساب القدر المناسب من التراث الثقافي، وتنمية ميولهم واتجاهاتهم بالصورة التي تساعدهم على الحياة في مجتمع دائم النمو والتغير، والتفاعل بين الجوانب المادية والمعنوية للثقافة قائم باستمرار، فالتعاليم الدينية لا بد لها من تطبيقات عملية وإلا حدَث الخلل بين ما يعتقد فيه الناس، وواقع حياتهم، وإلى ضرورة تحقيق نوع من التوازن بين عموميات وخصوصيات الثقافة عند وضْع المناهج المدرسية بصورة توضّح العلاقة الوثيقة بين ما هو عام وما هو خاص من عناصر المنهج.

وعند الحديث عن دور المنهج في تأكيد مبادئ وأسس الثقافة الإسلامية؛ يجب أن نفرق بين مفهوم الثقافة والحضارة الإسلامية، وبين المنهج الإسلامي كيلا يختلط الأمر، فمفهوم الثقافة الإسلامية كحضارةٍ يشمل المسلمين وغيرَهم في إطار عام يتناول أمور الحياة ويتعامل معها بأسلوب خاص.

ومما لا شك فيه أن مفهوم الثقافة الإسلامية كحضارةٍ هو الذي أدى إلى جذب كثير من العلماء والصُّناع وأصحاب المهن المختلفة من غير المسلمين على مدار التاريخ الإسلامي؛ فاستطاعوا العيش مع المسلمين في أمن وسلام وصفاء ووئام، وهذا المفهوم هو الذي ينبغي أن تهتم به مناهج التعليم في البلاد العربية والإسلامية، لما له من تأثير مباشر في بناء الثقافة المتوازنة للناشئة؛ تَجعلهم أكثر قدرة على استيعابه وفهمه وتسخيره لعكس الوجه المشرق للإسلام في نظرته للآخر غير المسلم باعتباره بشراً خَلقه الله سبحانه، وحرَّم الاعتداءَ عليه وظُلمه والانتقاصَ من كرامته بدعاوى منحرفة ضالة لا أساس لها في الإسلام، بل تضر الإسلام الذي احتوت تعاليمُه على الكثير من القيم

والمبادئ التي تؤكد على الحرية بكل أشكالها، كحرية القول والكتابة والنقد، وحرية الاعتقاد بعد بيان وجه الحق من الباطل.

وبما أن مفهوم الدين الإسلامي يشمل المشترك الحياتي للمسلمين وغير المسلمين، وكذلك الأمورَ الاعتقاديةَ التي تخص المسلمين وحدهم ولا تمنع التفاعلَ الإيجابي بينهم وبين الآخرين، فإن المناهج التعليمية مطالبة بالتأكيد على عدالة الأسس التي تضمّنها الإسلام في الجوانب الحياتية، كونها ضابطاً وموجّهاً للحياة العامة والخاصة بالفرد والمجتمع، وعليه فالمناهج المدرسية الإسلامية لا بد أن تستجيب لمطالب الروح الإنسانية فتغذّيها بالعقيدة الصافية والقيم العالية وتهذيب وتقويم النفس الإنسانية[1].

وفي هذا الإطار يجب على المناهج ومن باب البناء الثقافي المتزن للتلميذ؛ ترسيخ المبادئ الأساس التي نص عليها الدين الإسلامي القائمة على مبدأ التسامح الديني، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

وأن الأنبياء أخوة، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

---

(١) المناهج، أسسها - عناصرها - تنظيماتها.

وأن عليهم احترام أماكن عبادة الآخرين والدفاع عنها وحمايتها كأماكن العبادة الخاصة بالمسلمين، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].

وأن الاختلاف مع غير المسلمين في عقائدهم لا يبيح قتالهم بل مجادلتهم بالحسنى في حدود الأدب والحجة والإقناع، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وأن الإسلام كفل حرية المعتقد لمن يدخل فيه، ولم يُكره أحدا على ترْك عقيدته والدخول فيه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وعن دور التعليم في بناء الشخصية المتزنة؛ يؤكد الدكتور إبراهيم بن عبد العزيز الدعيلج: أنه يقع على المؤسسات التعليمية ومناهجها مسؤوليةُ تحصين الناشئة والشباب من التحديات الفكرية والثقافية والتقنية والأمنية، والوصول بهم إلى بَرّ الأمان في ظل الصراعات المتلاطمة التي يعيشها العالمُ اليوم، مشيراً إلى أن سياسة التعليم في المملكة مثالٌ يُحتذَى؛ حيث تَهدف إلى غرس العقيدة الإسلامية وتربية النشء على تعاليم الإسلام وقيمه وآدابه، وأنّ تفعيل دور التعليم في بناء الشخصية المتزنة أمر ضروري ومهم، وربْط ما يحدث من تطرّف وغلو بمناهج التعليم؛ يفتقر إلى دليلٍ لإثبات صحة هذا الرأي؛ لأن المناهج

الدراسية هي نفسها التي كانت تُدرّس قبل عشرات السنين، ولذا لا يجوز أن نعزو الأسباب للمناهج، فمناهج التعليم السعودي معتدلة ووسطية، وهذا لا يمنع أن يتم فيها بعض التغيير[١].

وحتى تتمكن المدرسة من القيام بدورها في بناء الشخصية السوية المتزنة للتلميذ؛ لابد من أن ترتبط بالمجتمع، وأن تتم إضافة مناهج جديدة حول الوقاية من الجريمة والانحراف، توضّح كيف يمكن للشباب تحصينُ أنفسهم من الجريمة، ومعرفة السبل الناجحة للابتعاد عن مَهاوي الرذيلة والانحراف، إضافة إلى وضْع خطة استراتيجية للإرشاد النفسي الجماعي للوقاية من الاضطرابات النفسية، وتوجّه على الأخص للوقاية من التورط في التطرف والإرهاب بين طلاب المدارس والجامعات، وضرورة انتقاء الأساتذة الذين يقومون بالتدريس بكل دقة وحذر، بحيث يتصفون بالفطنة والذكاء والقدرة على إيصال المعلومة الصحيحة للطالب، إضافة إلى المقدرة الشخصية التي تمكنهم من استيعاب المتغيرات الحضارية التي يعيشونها وعكْسها في المناهج الدراسية بشكل مشوق، وأن يكونوا قدوات يحتذى بهم علماً وخُلقاً وسلوكاً، وكذلك تعليم التلاميذ مهارات التفكير السليم والفعّال وحل المشكلات، وإتاحة المجال لهم للتعبير عما يجول في خاطرهم ونقد أفكار الآخرين وآرائهم بما يفيد الجميع، مع تقبُّل النقد من الآخرين أيضاً[٢].

---

(١) إبراهيم بن عبد العزيز الدعيلج، التعليم ودوره في بناء الشخصية المتزنة.

(٢) د. محمد دغيم الدغيم، الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية.

ومما يعين المناهج والمدرسة على تثقيف التلاميذ ثقافة متزنةٍ مصدرها تعاليم الإسلام: قيامُ العلماء وطلبة العلم بمدافعة من يحملون الفكر المنحرف بالحجة والبيان، وكشْف الشُّبه، والجدال بالتي هي أحسن، قياماً بالواجب ونُصحاً للأمة، وصيانةً للمجتمعات من أسباب الغواية والضلال، إذ الواجب على من يتصدى للتعليم والتربية والدعوة، العنايةُ بالتوازن في البيان والبناء[١]، فمدافعتهم تعني كشْفَهم وتجنُّب خطرهم وإبطال مفعولهم وإبعادهم عن البيئة المدرسية، لتتفرّغ للقيام بواجبها تجاه تلاميذها، وهو ما يعني مشاركة الجهات المعنية بدفع مخاطر الانزلاق إلى مَهاوي العنف والإرهاب عن التلاميذ وحمايتهم منها وتحصينهم ضدها.

مراجعة المناهج:

المناهج التعليمية أهم جهة مستهدفَة للإصلاح والتغيير والتطوير والتعديل، وهي تَشهد على مر العصور والدهور؛ ضرورةَ إعادة الصياغة والتصميم، أملاً في أن تُسهم في إنتاج جيل متمسك بالثوابت والمبادئ، مُواكبٍ للتغيّرات والتطورات، متفاعلٍ مع مستجدات الواقع المُعاش، ولن تقوى المناهج على تحقيق هذه الغاياتً ما لم تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وتتمتع بوضوح الرؤية وسلامة الهدف وواقعية الأساليب والوسائل التي تَستخدم من أجل الوصول إلى الغايات والأهداف المرسومة.

والواجب إصلاح مناهج التعليم بما يتوافق مع مبادئ الأمة وثوابتها وقيمها، وأن يكون للمقررات الشرعية بأنواعها؛ القدر الذي تتحقق به الكفاية، ليكون التعليم مصدر هداية وتوجيه وتهذيب.

---

(١) أسباب ظاهرة الإرهاب في المجتمعات الإسلامية.. رؤية ثقافية. د. عبد الله بن محمد العمرو.

ومن الخطأ البيِّن أن نعتقد أن نشر العلوم والثقافات وحدها؛ ضمان للسلام والرخاء، وعِوضٌ عن التربية والتهذيب الديني والخُلقي، ذلك أن العلم سلاح ذو حدين؛ يصلُح للهدم والتدمير، كما يصلح للبناء والتعمير، ولا بد في استخدامه من رقيب أخلاقي يوجّه لخير الإنسانية وعمارة الأرض، لا إلى نشْر الشر والفساد، ذلكم الرقيب هو العقيدة والإيمان.

فالحقيقة التي لا ينبغي أن نماري فيها اليوم: أن الأُطُر الأكاديمية المتنوعة فشلت في تلبية الحاجة الثقافية للأمة، ولم تستطع أداءَ دورٍ يُذكر في ذلك [١]، وهو اعترافٌ بضعف المناهج التعليمية في تقديم ثقافة متزنة، مما يستدعي مراجعة المحتوى الثقافي فيها والبحث عن أسباب ضعف المردود الثقافي للتلاميذ وضعْف المناهج في تزويدهم بثقافة تجعلهم أكثر اتزانًا وتوازنًا في تفكيرهم وصياغة أفكارهم.

فلا ضير إذَن من إعادة النظر في الكثير من المناهج الدراسية والأساليب التربوية، بعقلية انفتاحية جديدة لديها الرؤية والقدرة والصلاحيات والإمكانات المادية والبشرية لتُصبح ملائمة لمعطيات ومتطلبات العصر في عصر العولمة والسماوات المفتوحة، وإعادة النظر تلك؛ يجب أن لا تكون انفعالات وقتية أو ردود فعلٍ عاجلةً، وإنما يجب أن تنطلق من دراسات متعمّقة للتغيرات التي مرّ بها المجتمع والمستجدات العصرية، بروح تأخذ مصلحة البلاد والأمن فوق كل اعتبار، مراعين أن يؤدي تصحيحُ الأخطاء في الكتب المدرسية في دول العالم والحوارُ بين الثقافات؛ إلى إثرائها والقضاء على الصراعات و محاربة الإرهاب والتعاون والتعايش معًا في أمْنٍ وسلام [٢].

---

(١) مناهج التعليم في العالم الإسلامي. أ. قطب مصطفى سانو.

(٢) صورة الثقافة العربية – الإسلامية في الكتب المدرسية في اثنتين وعشرين دولة.

كما يجب التنبيه على أن ربط ما يحدُث من تطرف وغلو بمناهج التعليم؛ يفتقر إلى دليلٍ لإثبات صحة هذا الربط، فإذا افترضنا أن المناهج عاملٌ مؤثّر وموجد للغلوِ والتطرف؛ فإنه يترتب على هذا أن تكون النسبة الغالبة ممن يتعرضون إلى هذا المؤثر (المنهج) يتسمون بِسِمة الغلو والتطرف، وبِناءً عليه فإذا وجدنا خللاً في النتيجة بحيث لم يتسم الأغلبية بالغلو والتطرف؛ فإنه لا يجوز علميًا أن نعزو الأسبابَ للمناهج ووجودِ قلة متطرفة ذوي فكر مخالف لما تحمِله مناهجنا؛ ما يعني أنهم يتلقون فكرهم المنحرف من خارج هذا المنهج، وقد يكون عدد من المعلمين يحاولون فرْض آرائهم الشخصية ووجهات نظرهم الخاصة، والتي قد لا توافق المنهج المعتمَد، مع ضرورة التفريق بين الثابت والمتحول في تلك المناهج، والثوابت واضحة ملتزَمٌ بها، وبالمقابل هناك جزئيات قابلة للتحويل.

وكذلك التأكيد على أنه رغم تعالي الأصوات المنادية بتغيير المناهج وبمراجعتها وتصحيحها وتحسينها، وأنها فشلت في تشريب الناشئة المعاييرَ والقيمَ الاجتماعيةَ الإيجابيةَ؛ إلا أنه كانت لها آثار إيجابية في الماضي، تمثّلت في استقرار النظام الاجتماعي والثقافي في المجتمع، وما زالت تؤثّر حتى الوقت الحاضر، خاصة مناهج التربية الإسلامية التي قامت على ترسيخ العقيدة الإسلامية في نفوس الطلاب في المراحل الأولى للتعليم، بتركيزها على الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تربّي النفس على القيم الفاضلة وتحذّر من انتهاك المحرمات والفساد في الأرض.

ورغم ما ينتاب بعض دول العالم القوية والمؤثرة وبعضاً من غير المسلمين من خوفٍ من الإسلام والمسلمين، ورغم التغيير الذي طال المناهج التعليمية في بعض الدول الإسلامية، إلا أن البعض يرى أن واحداً من أسباب ضعف

التعليم والثقافة في كثير من البلاد الإسلامية؛ مردُّه إلى أن التعليم لم ينطلق من الأهداف التي تمثل حياة الأمة، ولا يُعمّق العقيدةَ التي تقوم حياتهم عليها، ولا يُؤدي وظيفته في إيجاد جيل راسخ الإيمان، مثقف القلب، قابل للتضحية والفداء في سبيل الأهداف والغايات الكبيرة.

وختاماً يجب أن نُذكّر المتحمسين للدعوة لتغيير المناهج لتكون ثقافية أكثر منها تربوية؛ أنه في الوقت الذي تمجَّد فيه الحضارة الإسلامية وتعدّد مآثرها بل ويتمّ الاعتراف بفضلها وبفضل العلماء المسلمين على الغرب؛ نجد الغرب يعمل على تقويض الأساس الحضاري الإسلامي وهو الثقافة الإسلامية، ويذهب بعيداً في وصف مبادئ الإسلام بما يتعارض مع مبادئ الحضارة الإسلامية، وكذلك غضّ الطرف عن مناهج مدرسية في بلاد غربية تكرّس للكراهية وتشجع على العنصرية، مما ينبئ عن أن الهدف ليس المناهج وإنما الخوف من الإسلام المفترَى عليه.

التوصيات:

١- أن يكون العاملون في المؤسسات التربوية والإرشادية قدوة صالحة في القول والعمل فيما يتعلق بالمناهج والنشاط المدرسي.

٢- أن تسعى المؤسسات التعليمية لاختيار المعلّم الصادق الأمين.

٣- تفعيل الثقافة المتوازنة في المناهج التعليمية في مختلف المواد الدراسية وخاصة التربية الإسلامية والتاريخ.

٤- التركيز على ترسيخ منهج الوسطية والاعتدال وإشاعة مبادئ التسامح والخير والإنسانية وتصحيح المفاهيم التي فهمها غيرُ المسلمين فهماً خاطئاً كالجهاد.

٥- أن تخصِّص إدارات التعليم حصةً أسبوعية لبيان حقيقة الإرهاب ومخاطره على الفرد والمجتمع والأمة ونبْذ ثقافة العنف والتطرف.

٦- احترام التنوع الحضاري والديني والثقافي للبشرية باعتباره عامل إثراءٍ وانسجام لا عامل تصادمٍ وتبايُنٍ، وتبرئة الدين الإسلامي من وصمة الإرهاب، والدعوة إلى حوار حضاري معمق [١].

٧- الحرص على تدريس مناهج التربية الإسلامية الصحيحة وإلزام المعلّمين بتدريس ما ورد في المنهج.

---

(١) مقال: يجب احترام التنوع الحضاري والثقافي للبشرية، الشيخ عبد الله بن الشيخ بن بيِّه نائب رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين.

http://alwaei.com/topics/view/article_new.php?sdd=951&issue=478

المراجع

- خالد الصمدي، عبد الرحمن حِلي، أزمة التعليم الديني: إجرائية أم بنيوية.
- مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا.
- عبد الله بن عبد العزيز اليوسف، دور المدرسة في مقاومة الإرهاب والعنف والتطرف.
- المناهج، أسسها - عناصرها - تنظيماتها.

١- إبراهيم بن عبد العزيز الدعيلج، التعليم ودوره في بناء الشخصية المتزنة.

٢- الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون الخليجي د. محمد دغيم الدغيم.

٣- عبد الله بن محمد العمرو، أسباب ظاهرة الإرهاب في المجتمعات الإسلامية.. رؤية ثقافية..

٤- قطب مصطفى سانو. مناهج التعليم في العالم الإسلامي، حتمية المراجعة وضرورة التغيير.

٥- جمهورية مصر العربية، وزارة التعليم العالي، قطاع الشئون الثقافية والبعثات، صورة الثقافة العربية الإسلامية في الكتب المدرسية في اثنتين وعشرين دولة.

- شريف علي حماد، تحديات تغيير المناهج الشرعية في العالم الإسلامي.

١- الشيخ عبد الله بن الشيخ بن بيِّه: يجب احترام التنوع الحضاري والثقافي للبشرية..

٢- عمر عبيد حسنة، ضعف التعليم والثقافة والتخلف العلمي، المكتبة الإسلامية، إسلام ويب.

- محمد دغيم الدغيم، الانحراف الفكري وأثره على الأمن الوطني في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية.

- عمار الجبيري، في الحوار الوطني «التعليم ودوره في بناء الشخصية المتزنة».

- عبد الله بن عبد العزيز اليوسف، دور المدرسة في مقاومة الإرهاب والعنف والتطرف.